من اباطيل الكفار بقوله تعالي قالوا اي اليهود والنصاري ومن زعم ان الملايكة بنات الله
اتخذ الله ولدا قال الله تعالي سبحانه اي تنزيها عن الولد هو الغني عن كل احد
وانما يطلب الولد من يحتاج اليه ثم بين تعالي غناه بقوله تعالي له ما في السموات وما في الارض
من ناطق وصامت ملكا وخلقا ولما بين تعالي بالدليل الواضح امتناع ما اضافوا
اليه عطف بالانكار والتوبيخ فقال ان اي ما عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي
الذي تقولونه ثم بالغ تعالي في ذلك الانكار عليهم بقوله تعالي اتقولون على الله ما لا تعلمون
حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه تعالي جهلا منكم ولا استفهام
للتوبيخ قل يا محمد لهولا الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل
ويزعمون ان له ولدا ان الذين يفترون اي يتعمدون على الله الكذب لا يفلحون اي
لا ينجحون في سعيهم ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من اذا فاز بشي من المطالب
العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن انه قد فاز بالمقصد والله سبحانه وتعالي
ازال هذا الخيال بان قال متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره افتراوهم متاع
في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر وحياتهم او تقلبهم متاع في الدنيا وهو
ايام يسيرة بالنسبة الي طول مقامهم في العذاب ثم الينا مرجعهم بالموت ثم
نذيقهم العذاب الشديد بعد الموت بما اي بسبب ما كانوا يكفرون ولما ذكر سبحانه
وتعالي في هذه السورة من احوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد
شرع بعد ذلك في قصص الانبياء وما جري لهم مع اممهم وذكر تعالي منهم
في هذه السورة ثلاثة قصص القصة الاولي قصة نوح عليه السلام
المذكورة بقوله تعالي واتل يا محمد عليهم اي كفار قريش نبا اي خبر
نوح وذلك ليكون لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولاصحابه اسوة بمن سلف
من الانبيا فانه صلي الله عليه وسلم اذا سمع ان معاملة هولا الكفار مع كل
الرسل ما كان الا علي هذا الوجه خف ذلك علي قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت
ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذا الانبيا
المتقدمين الا ان الله تعالي اعانهم بالاخرة ونصرهم وايدهم وقهر اعداهم
كان سماع هولا الكفار لامثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع
الخوف والوجل في صدورهم ولان الكلام اذا طال في تقرير نوع من انواع العلوم
فربما حصل نوع من انواع الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الي فن
اخر شرح الله صدره وطاب قلبه ووجد من نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة
وميلا قويا ولانه صلي الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القصص
من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك علي انه صلي الله عليه
وسلم انما عرفها بالوحي والتنزيل ويبدل من نبا نوح اذ قال لقومه وهم بنو
قابيل يا قوم ان كان كبر اي شق وعظم عليكم مقامي اي لبثي فيكم الف سنة
الا خمسين عاما وتذكيري اي وعظي اياكم بايات الله اي بحججه وبيناته

فعزموا

فعزمتم علي قتلي وطردي فعلي الله توكلت اي فهو حسبي وثقتي اوقيامي علي الدعوة
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا علي ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم
مسموعا كما يحكي عن عيسي عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قايما وهم قعود فاجمعوا امركم
اي فاعزموا علي امر تفعلونه في اذاي بالاهلاك او غيره وشركاكم اي وادعوا شركاكم
او الواو بمعني مع اي مع شركايكم وهي الاصنام وانما حثهم علي الاستعانة بها بناء علي
مذهبهم الفاسد واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع
تبكيتا وتوبيخا لهم ثم لا يكن امركم اي الذي تقصدوني به عليكم غمة اي مستورا
من غمه اذا ستره بل اظهروه وجاهروني مجاهرة فانه لا معارضة لي بغير الله الذي
يستوي عنده السر والجهر ثم اقضوا الي اي امضوا ما في انفسكم وافرغوا منه
يقال قضي فلان اذا مات ومضي وقضي دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا الي بالقتل
والمكروه وقيل فاقضوا ما انتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض
ما انت قاض اي اعمل ما انت عامل ولا تنظرون اي ولا تؤخرون بعد اعلامكم اياي
ما انتم عليه وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلامه
وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا فان توليتم اي اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم
من اجر اي من جعل وعوض علي تبليغ الرسالة فينفركم عني وتتهموني لاجله
من طمع في اموالكم وطلب اجر علي عظتكم ومتي كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله
اقوي تاثيرا في القلب ان اجري الا علي الله وهو الثواب اي يثيبني به في الاخرة اي ما
انصحكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع الناس
بعلم او ارشاد الي طريق الله تعالي وامرت ان اكون من المسلمين اي اني مامور
بالاستسلام بكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة وقيل دين الاسلام
وانا ماض فيه غير تارك له قبلتموه ام لم تقبلوه فكذبوه اي اصروا علي
تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم
حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك اي السفينة
وكانوا ثمانين وجعلناهم اي الذين انجيناهم معه في الفلك خلايف في الارض
يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان وقوله تعالي
فانظر اي ايها الانسان او يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جري
عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له
وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلي الله عليه وسلم ومن كذب به كانت
زجرا للمكلفين من حيث يخافون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون
داعية للمومنين علي الثبات علي الايمان ليصلوا الي مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه
الطريقة في التحذير والترغيب اذا جرت علي سبيل الحكاية عمن تقدم كانت ابلغ
من الوعيد المبتدا وهذا الوجه اكثر تعالي ذكر اقاصيص الانبيا عليهم السلام
ثم بعثنا من بعده اي نوح رسلا الي قومهم لم يسم هنا تعالي من كان بعد نوح